المحاضرة الحادية عشر: نظرية الدولة عند ابن خلدون

هدف المحاضرة: التعرف على نظرية الدولة في الفكر الخلدوني

1/- **تعريف ابن خلدون للدولة:** يعرفها ابن خلدون بأنها كائن حي، له طبيعته الخاصة به، ويحكمها قانون السببية، وهي مؤسسة بشرية طبيعية وضرورية وهي أيضا وحدة سياسية واجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بها .

1-1 قانون السببية: مفادها أن الوقائع الاجتماعية و الأحداث التاريخية خاضعة للحتمية وليس للصدفة و ذلك لارتباط الأسباب بالمسببات.

1-2 قانون التشابه عند ابن خلدون:هو التشابه بين الماضي والحاضر لذلك نسمع مقولة " **التاريخ يعيد نفسه** ".آو " **ما أشبه الأمس باليوم** "، إن المجتمعات البشرية تتشابه في الوجوه و يرجع هذا التشابه إلى: " قلنا فيما سبق الضعيف مولع بتقليد القوي.

أ- الوحدة العقلية للجنس البشري

ب- سبل الإنسان إلى التقليد، ويتضح هذا التقليد في :

- ❖ تقليد الناس لأصحاب السلطة.
- ❖ تقليد أصحاب السلطة لأصحاب السلطة السابقة.
- ❖ إن المغلوبين أصحاب الدولة التي زالت وانتهت، يقلدون أصحاب الدولة الجديدة.

والتقليد عند ابن خلدون قانون عام سيدفع إلى التطور نحو الأمام، لأن التقليد يكون للأفضل.

1-3 **قانون التباين:** يرى ابن خلدون أن المجتمعات ليست متماثلة بصفة مطلقة بل توجد بينها فروق وعلى المؤرخ ملاحظتها، ومن الأخطاء التي يقع فيها المؤرخين عدم إدراكهم لهذه الفروق.

2/- **ضرورة الدولة عند ابن خلدون:**

الإنسان معرض للخطر ليس من جانب الحيوانات المفترسة بل من جانب أخيه الإنسان، لذا لابد من وجود سلطة تحول هذا دون اعتداء أناس على بعضهم البعض، ودون تغول فرد معين على الجماعة أو على إفراد، وهذا ما يعبر عنه بالسلطة الرادعة، أو الوازع، وازع حاكم لأنها تملك القوة في منع الأذى

3/- **أسس الدولة عند ابن خلدون:** لابد من توفر أساسات للدولة وهي:

3-1 الشوكة والعصبة و هي عادة المعبر عنها بالجند.

3 -2 المال : الذي هو قوام أولئك الجند.

مفهوم العصبية عند ابن خلدون: أن العصبية عند ابن خلدون لا تشمل أبناء الأسرة الواحدة الذين تربط بعضهم ببعض صلة الرحم فحسب، بل هي تتوسع لتشمل الحلف والولاء وفي مواقف أخرى نجد أيضا ابن خلدون يضم إلى هذه العصبية الرق والمرتزقة وهذا ما يسميهم المصطفين في العصبية. أما النسب فيعتبره أمر وهمي فائدته هو الترابط الذي يوجد وبهذا يكون معنى العصبية عند ابن خلدون مرادف لمفهوم العصبة، وعليه فهو لم يخرج عن المفهوم الإسلامي الذي نبذ العصبية القبلية.

4/- **أنظمة الحكم عند ابن خلدون:** وهي ثلاثة أنواع:

أ- **الخلافة:** وهي الخلافة التي تستند إلى شرع الله.

ب- **نظاما حكم سياسي عقلي:** مثلما كان عليه الفرس، تضطلع بمصالح الدنيا فقط.

ج- **نظام حكم سياسي مدني:** وهي مثالية مفترضة في المدن الفاضلة عند الفلاسفة وهي بعيدة الوقوع مثل الجمهورية الفاضلة عند أفلاطون.

ملاحظة

يقرر ابن خلدون ويقول بأن الحكومة التي تسوس الناس في شؤونهم هي الحكومة الإسلامية، لما فيها من حفاظ على مصالح الناس في دنياهم و مصيرهم في أخرتهم، ويبين ابن خلدون أن وظيفة الخلافة دينية، اجتماعية وسياسية وذم الملك القائم على العصبية، لأنه يؤدي إلى القهر، و رفض الملك القائم على السياسة وحدها لأنه مجرد من الصبغة الدينية التي نظمتها شريعة السماء – الله سبحانه وتعالى-

❖ يبين ابن خلدون سبب تسمية الخليفة بهذا، لأنه خليفة رسول الله صلى عليه و سلم، وأن الإنسان خليفة الله في الأرض لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم : " إني جاعل في

الأرض خليفة " البقرة 30، فالله جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بأمور العبادة ليحملهم على مصالحهم و يردهم عن مضارهم.

5/- نظرية الدولة عند أبن خلدون:

الدولة كائن حي يولد و ينمو ثم يهرم لينفي فعمرها مثل الكائن الحي، وقد حدد أبن خلدون عمرها ب 120 عاما، لأنه يرى بأن هذا هو العمر الطبيعي للأشخاص كما زعم الأطباء، حيث يستشهد بقول الله تعالى : " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " الأعراف 34،

. ذكر بأن الدولة تتكون من ثلاثة أجيال كل جيل عمره 40 عاما حيث اعتبر أن متوسط عمر الشخص 40 عاما، و فيه يبلغ النضج غايته حيث يستشهد بقوله تعالى : " **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً** "، الأحقاف 15.

6/- أجيال الدولة عند ابن خلدون:

- **الجيل الأول:** يعيش في الريف والبوادي، حياة بدوية خشنة بعيدة عن الترف ويتميز بقوة العصبية والعنف والبسالة والاشتراك في المجد.
- **الجيل الثاني:** فهو الذي يتحقق على يديه الملك و يؤسس الدولة، وفيه ينتقل من البداوة إلى الحضارة ومن الريف إلى المدينة.
- **الجيل الثالث:** ينسون عهد البداوة والخشونة كأنها لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية، ويبلغ فيهم الترف نهايته، ويصيرون فيه عيالا على الدولة، وينسون فيه الحماية والمدافعة، وتسقط فيه العصبية تماما، ويضطر صاحب الدولة إلى الاستظهار لصوابهم من أهل الجند و يستكثر بالموالى.

طور التأسيس	الانفراد بالحكم	الفراغ والدعة	القنوع والمسالمة	الإسراف والتبذير

-السلطان جديد العهد بالملك -فيه العصبية الحكم مشترك بين الملك وعشيرته	-قمع العصبية. -العمل على الانفراد بالحكم. -الاستعانة بالموالي. -الاعتماد على جيش منظم.	-تحصل تمردات الملك. -تخليد الآثار. -بعد الصيت. -قمة القوة. -شؤون الجباية. -بناء المباني	-القنوع بما أقامه الأسلاف. -تقليد الأسلاف. -لا جديد يحدث.	-الإتلاف -الشهوات. -الملذات. -التخريب. -الانحلال.

- **الجيل الربع:** لا يكاد يذكر لأنه فقد الاحترام و السلطة.
- **أطوار الدولة عند ابن خلدون:**

بداية انحلال الدولة يرجع إلى عنصرين وهما: انحلال العصبية(التفكك)، والانحلال المالي نتيجة تبذير السلطان، ولهذا تنهار الدولة سياسيا واقتصاديا.

❖ يقول ابن خلدون بأن: الظلم مؤذن بخراب العمران

الأسس الإسلامية في نظرية الدولة عند ابن خلدون :

1/ يقول المولى عز وجل:" وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ". الأنبياء 11.

2/ و أيضا:" **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** "